"أوم" مفهومه وأهميته في الديانة الهندوسية

Om: Its Meaning and Significance in Hinduism

الدكتورة أمة الرفيع محمد بشير*

ABSTRACT

Hinduism is one of the ancient religions of the world that consists of many diverse traditions and wide spectrum of laws derived from Vedas, Upanishads and other religious literature. It is a fusion or synthesis of various Indian cultures and traditions with diverse roots and no single founder.

Hinduism reveres numerous symbols and phenomenon like many other religions. Om is one of such symbols, a sacred syllable that is considered to be the greatest of all Mantras or sacred formulas. This syllable is composed of three sounds a-u-m which represents several sacred triads of Hinduism, the three world, three Vedas and three gods.

Om mystically embodies the entire essence of the world. It is uttered at the beginning and end of Hindu prayers, ritual etc.

This syllable is discussed in a number of Upanishads which are text of philosophical speculation. It is used in the practice of yoga to attain Moksha, the ultimate objective of life. Its utterance has impacts on Hindu like spiritual benefits and psychological benefits etc and thus ensures balance health, thoughts and happy healthy life full of bliss and ultimate success. Om is life of life and ordinary life is sacred expression of that ultimate life.

* الاستاذة المساعدة بقسم مقارنة الاديان ، كلية أصول الدين, الجامعة الاسلامية العالمية باسلام آباد، باكستان.

إن الهندوسية ديانة الجمهرة العظمى في الهند قامت على انقاض الفيدات، فتشربت أفكارها، واكتسبت عن طريقها الملامح الهندية القديمة، والأساطير الروحية المختلفة، يطلق عليها "البرهمية" كذلك. وهي مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت عبر تاريخ طويل، كما أنه لا يوجد لها مؤسس معين يمكن الرجوع إليه —كمصدر لتعاليمها وأحكامها – فهي ديانة متطورة، ومجموعة من التقاليد والأوضاع التي تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم جيلاً بعد جيل بعد ما وفدوا على الهند، فتغلبوا على سكانها الأصليين واستأثروا دونهم بتنظيم المجتمع، وقد تولدت باحتكاكهم تلك التقاليد الهندوسية التي اعتبرت على مر التاريخ دينا يدين به الهنادكة ويلتزمون بآدابه(1).

فإن الهندوسية هي الديانة الأساسية لسكان البلاد، وهي ديانة شهدت تطوراً يصحب التطور الحضاري للبلاد، وجاءت نتيجة للتراكم المعرفي والتراثي عبر تاريخ الهند.

ورغم ضألة المصادر وضبابية الوضع التاريخي للهند إلا أنه المرجح أن الهند عرفت أشكالاً من الاستقرار والمدنية منذ الألف السادس قبل الميلاد.

فالديانة الهندوسية — مثل معظم الأديان على وجه الأرض — تقدس آلاف المظاهر، والآلهة، والأماكن، وما ذلك إلا لأنها مرتبطة ببعض الأساطير الدينية التي توحي أهميتها، وتبرز دورها المهم الذي لعبته في تطوير أو إحياء هذه الديانة عبر مراحل مختلفة من التاريخ، فالقداسة مظهر في هذه الديانة يتصل بالأصوات والرموز كذلك، و'أوم' (Aum)يعتبر صوتاً مقدساً أو رمزاً مقدساً فيها.

هناك حقائق عديدة تتصل بقداسة هذا الصوت أو الرمز– وسنتاولها بالتفصيل فيما بعد — ف "أوم" يعتبر من أقدس الرموز، "لأنه من المعتقد أن عصر الفيدات —وهي مرحلة نشأة وظهور الديانة — كان الاهتمام بالأصوات والتركيز عليها أثناء العبادة، والتأمل وتأدية الطقوس الخاصة بتقديم القرابين وغيرها من المناسبات الدينية ، وماذلك إلا لأن التمثيل المرئي للإله لم يكن ميسراً آنذاك"(2).

فيعني ذلك أن مفهوم التمثيل أوصنع تماثيل للآلهة تطور فيما بعد"ولذلك كان من المهم ترديد هذا الصوت المبارك ، والأصوات الأخرى حسب قوانين الفيدات المتصلة بالأصوات

المقدسة فانتقلت الفيدات شفويا من جيل إلى آخر"[3] فلم يتم تدوينها إلا في بداية القرن العشرين وهي ظاهرة متأخرة جداً.

فهذا الاهتمام بالأصوات المقدسة المباركة جعل الهنادكة يحفظون نصوصهم المقدسة دون كتابتها. ومن أقدس الأصوات والرموز عندهم "أوم" فهي جليلة الأثر أو الفائدة فيستفيد بآثارها النفسية والشرعية والباطنية التي يرددها ، فيجب ترديدها قبل قراءة الفيدات، وبعدها، وتبدأ بها الفيدات والطقوس وتختم بها.

تاريخ ظهور هذه الكلمة

إن ظهور هذه الكلمة في التراث الديني الهندوسي ومنشأها يستند على روايات مختلفة، فيرى صاحب "دائرة معارف الدين والأخلاق" أن هناك غبارًا وغموضًا حول ظهور هذه الكلمة أو الصوت المقدس لأنها لم تظهر في المرحلة الفيدية في أدبيات الفيدات وخاصة أننا لم نجدها في الريج فيدا.[4]ومن المعروف أن الريج فيدا من أقدم الفيدات وهذا يعني أن الصوت "أوم" لا ينتمي إلى الكتب الكلاسيكية الدينية.وهذا ماذهب إليه صاحب 'قاموس الهندوسية' حيث يرى أنها كلمة أو صوت مقدس ظهر أولا في الأبانيشادات ككلمة صوفية ذات قوة روحانية جليلة[5] متأخرة من حيث الزمن عن الفيدات ،وأنها تميل إلى الفلسفة في أسلوبها لتفسير الديانة الهندوسية من الناحية الفلسفية والروحانية. فإذا كان الصوت المقدس أوم ظهر في الأبانيشادات فكيف يمكن التوفيق بين هذا الرأي والرأي السابق لـ "لجين هوم"؟" الذي يرى أن الديانة الهندوسية اهتمت بالأصوات في مرحلتها الابتدائية أكثر من التمثيل المرئي للإله فلعلها – والله أعلم –كانت مهتمة بهذه الأصوات ومثلها، فمفهوم الصوت المقدس كان موجوداً ولكن صوت أوم خاصة ظهر في الأبانيشادات في مرحلة متأخرة، ومن المعروف تطور اللغة والكلمات – بسبب تأثيرات خارجية وداخلية – من عصر إلى عصر آخر. فنظراً لأهمية هذا الرمز أو الصوت المقدس يجدر بنا الاطلاع على المقصود منها، ومعنى هذه الكلمة أو الصوت.

معنى كلمة أوم والتعريف بها

يرى صاحب "قاموس الهندوسية": "أنها كلمة مقدسة جليلة ، يتم بها التضرع، والابتهال، وطلب المغفرة، ومنح البركة ، فهي مقدسة ينبغي ترديدها بصوت خافض حيث لا يسمعها أحد"[6].

نجد الاهتمام ببيان أفضليتها في هذا التعريف مع كيفية نطقها وترديدها في العبادات والأدعية وعند تقديم القرابين. وحسب التعريف الثاني "إن أوم كلمة مقدسة ظهرت أولاً في الأبانيشادات ككلمة صوفية، وتعتبر بذرة (بيجا) أو مبدأ جميع المنتراوات (Mantras) [7]، وبها بدأ الكون واليها سيعود ، وهي كلمة تضمن الماضي والحال والمستقبل وكل ما يوجد ما وراء الوقت"[8]. وهنا مرة أخرى نجد أن كلمة أو صوت'أوم' ظهر في الأبانيشادات وهي التي وضعت بعد الفيدات ، وعصر الفيدات عصر المرحلة الابتدائية ، بينما عصر الأبانيشادات متأخر، ويأتي بعد الفيدات. فهي مرحلة متأخرة من حيث الزمن،وقد ظهر صوت أوم في هذه المرحلة المتأخرة، ولكن صار مع ذلك مبدأ الكون الذي كان قد بدأ قبل عصر الفيدات بزمن طويل، ثم بهذا الصوت منوط انحلال الكون كذلك، وأنه يحتوي على الماضي والحاضر والمستقبل كذلك، بينما 'أوم' ليس بصوت قديم. فهو صوت حادث صار مبدأ الكون والخلق أمر غير مفهوم!

بينما تعريف آخر أنها" كلمة متعالية ويقرأها الكاهن أثناء تأدية طقوس القرابين"[9] إذ أنها كلمة تنتمي إلى عالم ماوراء المادة حسب هذا التعريف، وهذا مما يزيد من قداسة هذا الصوت ثم ذهب صاحب'القاموس الهندوسي' " أنها كلمة مقدسة جليلة وهي مبدأ أو بذرة (بيجا) جميع المنتراوات، وهي بداية الخلق ونهايته ، ينبغي تلاوتها قبل تأدية الطقوس الخاصة بالمناسبات الدينية المختلفة"[10].

وفيه نجد التركيز على قداسة هذه الكلمة مع الإصرار بأنها مبدأ الكون مع الغموض حول ظهورها ، وظهورها في الأبانيشادات واضح ويبدو أن تعريف الصوت 'أوم' أو كلمة 'أوم' قد تأثر بعوامل مختلفة ظهرت من عصر إلى عصر آخر. ويوجد ذلك عندما نطلع على تعريف دياننند سراسوتي [11] لهذا الصوت الذي يقول : " تعني كلمة "أوم" في السنسكريتية أواتي (Avati) أو راكشاتي (Rakshati)والمراد بها المحافظ والمبقي فالباقي هو

أوم، والشيء الذي يبقى هو النظام، الذي نراه في الآفاق وفي انفسنا وهو حقيقة كل شيء، بل هو الحقيقة، وجوهر هذا النظام يسمى "أوم"، فـ "أوم" اسم الإله الخالق مدبر الأنفس، ومدبر الكون، وهذا النظام يسمى نياتي (Niyati)، وهو ايشوارا الإله الخالق المدبر لهذا الكون"[12]. فمحاولة اعادة صياغة المفاهيم الدينية واضحة هنا حيث نعرف أن ديانند سراسوتي كان يمثل إحدى الاتجاهات الحديثة الإصلاحية في الديانة الهندوسية ، ولذلك حاول ايجاد مفهوم جديد لهذا الصوت، ونلاحظ أن كلمة "أوم" تساوي الإله والنظام في الوقت نفسه، كما أنه من الملحوظ تطور تعريف صوت "أوم" كرمز مقدس للإله إلى أن صار الإله بنفسه حسب تعريف ديانند سراسوتي. لعله من المفيد هنا إيراد تعريفات لكلمة "أوم" أو لرمز"أوم" حسب الفرق الهندوسية المختلفة. فتعريف صوت "أوم" حسب العقائد اللاهوتية على –سبيل المثال لا الحصر– ؛ فمثلا ترى فرقة وشنوائيا أن'أوم' الههم وشنو ، بينما ذهبت فرقة شيفا أن صوت 'أوم' يمثل الإله شيفا الذي خرجت من فيه أصوت الموسيقى الخمسة سا رے كا ما با دھا نی سا، وهو الذي يخلق الكون بهذا الصوت "أوم".

ينما ترى فرقة ويدانتا[13] "أن "أوم" هو الرمز التمثيلي للإله أو الصوت المقدس لآتمان وهو الصوت المطلق؛ أي مبدأ الكون"[14].

فلا نجد تضارباً بين آراء هذه الفرق المختلفة إذا فهمنا عقيدة الإله لدى الهنادكة، فهم يعتقدون بالثالوث المقدس للإله ، حيث يتصف بصفات ثلاثة أساسية؛ فهو الإله برهما الخالق، وشيفا المدمر لهذا الكون، ثم وشنو المحافظ الذي يحافظ. فكل فرقة ترى أن "أوم" يمثل إلههم ولا عجب من هذا لأن الهندوسية تعطي حق اختيار الإله المناسب لجميع أتباعه دون أي فرق بين الصفات المختلفة للإله[15]حتى يختار الكل طريقا ميسرا له للحصول على الانطلاق الروحي، والاتحاد مع الإله، مركزاً على أية صفة يختارها.

إذًا يمكن القول بأن "أوم" صوت مقدس في الديانة الهندوسية، ثم في مرحلة من صار كرمز للإله ، إلى أن صار الإله بنفسه يعبد، ويحترم ويقدس، كما أنه مصدر الكون منذ خلقه وإليه سيعود ، وهو في طبيعته يمثل الصفات المختلفة للإله برهما ، ولذلك تعتقد

الفرق الهندوسية الرئيسية بأن 'أوم' يرمز الههم برهمان وشيفا ووشنو إلا أن هذا الرمز المقدس أو الصوت المقدس ظهر في الأبانيشادات، ولم يكن موجوداً في عصر الفيدات . فإما أنه تطور فيما بعد أو جهلها العالم الهندوسي في تلك المرحلة.

نظراً لاهتمام الهندوسية بهذا الصوت المقدس فإن النصوص المقدسة من الأبانيشادات تبرز أهمية هذا الصوت أو الرمز ، وما ذلك إلا لأن هناك حقائق عديدة ارتبطت به وزادت من أهميته.

المفهوم الويدي لـ "أوم"

رغم أن الدراسة تدل على عدم ظهور هذه الكلمة أو الصوت المقدس في أدبيات الفيدات ، إلا أن هناك من علماء الهنادكة من يزعم أن أوم لها صلة وثيقة بالفيدات، وهناك مفهوم ويدي خاص لهذا الصوت المقدس. فـ "أوم" يستخدم كرمز للإله ويسمى براتيكا(Pratika) وهو يرمز لكل شيء موجود في هذا الكون سواء كان تحت إدراك الإنسان أم لا. وهذه هي عقيدة وحدة الوجود التي تلعب دوراً هاماً في توضيح معنى هذا الرمز المقدس. فالكون الذي نشعر بوجوده حولنا يقيه الإله. والإله كل شيء في هذا الكون وهو "أوم".

فترى الفيدات أن كلمة أوم تشتمل على ثلاثة أحرف ، وكل حرف يحمل معنى خاصاً؛ فحرف"أ" يدل على العالم المادي الذي تتم فيه جميع التجارب الإنسانية ، فهو الفاعل، والفعل ، والمفعول في هذا الكون. فكل هذا ضمن حرف " أ " سواء عرف وأدرك الإنسان كل ما يوجد في هذا الكون أو لم يدركه فكل ذلك واقع تحت حرف " أ " .

أما حرف "و" يدل على أو يرمز إلى العالم الفكري، وهو غير هذا العالم المادي الذي يقع تحت شعورنا ، إنه عالم نشعره في منامنا ، وفي أفكارنا و في تخيلنا ، كل ذلك يدخل ضمن حرف "و".

وأما حرف "م" فإنه يشير إلى تلك التجارب الإنسانية التي تحدث في عالم الرؤيا، ولذلك كل ما كان قبل الخلق – أي خلق الكون وبعده — سيكون ضمن حرف "م".

إذاكان هذا هو المفهوم الويدي لرمز أوم ، فإن هناك مفهومًا آخر لـ "أوم"، وهو مفهوم ما وراء اللغة الإنسانية حسب مفكري الهندوسية. فيرون إن العالم كله بظاهره وباطنه يشتمل على أشكال مختلفة رغم أنه واحد في الظاهر، وإذا تأملنا هذه الأشكال المختلفة ، فنجد كل شكل له عالم أيضاً . وهي داخلة في هذا الكون المادي الذي يحيطينا . فكل شي له اسمه الخاص به؛ فمثلاً الجسد المادي للإنسان فإنه واحد ككل ، ولكن يشتمل على أشكال مختلفة مثل العين ، والرأس ، واليد وغيرها . ثم كل عضو أو شكل يشتمل على خلايا مختلفة فإذا تأملنا هذه الخلايا المختلفة فإنها بدورها تشتمل على أشكال مختلفة في وجودها الداخلي، فهكذا نحن أمام عوالم مختلفة ضمن هذا الكون المادي الواحد.

فهذه الأشكال المختلفة ، والأسماء المختلفة لهذه الأشكال ليست منفصلة عن هذا الكون وحسب عقيدة وحدة الوجود

" كل شيء هو إله ، والإله هو كل شيء في هذا الكون" فالآن نحن بحاجة إلى أن نسمي الهنا بذلك الاسم العظيم الشامل الذي يتسع لهذه الحقيقة المطلقة ، فليست هناك كلمة ولا لغة ، تتسع لهذا المفهوم الجليل ، فعلمتنا الفيدات أنها أوم ، وهو الرمز الذي يشير إلى الإله.

ثم الرجوع إلى فورانـاز [16] (puranas)فإنها تكشف عن بعض الجوانب الكسمولوجيا لهذا الرمز حيث تتحدث عن خلق أو بداية هذا الكون ونهايته أو قيامته حسب المصطلح الإسلامي.

فترى أن رمز أوم اسم باطني ، صوفي يشير إلى الثالوث المقدس للإله في الديانة الهندوسية، كما أنه يدل على اتحادهم وهم برهما الخالق، وشيفا المدمِّر، و وشنو المحافظ، وإنه رمز يشير إلى الفيدات الثلاثة، أي الريج فيدا، وساما فيدا، وياجر فيدا.

بينما ترى منداكا ابانيشاد إن حرف "أ" يدل على الخلق وبدايته عندما خرج الخلق كله من بيضة ذهبية لبرهما وظهر في الوجود ، وحرف "و" يدل على الإله وشنو الذي

يحافظ على وجود التوازن لبرهما على وردة اللوطس وبه منوط توازن هذا الكون، وحرف "م" يشير إلى المرحلة الأخيرة لوجود هذا الكون عندما تقترب نهايته الكبرى برالاياParalaya.

كما يعتقد أن الصوت الأصلي لبرهما الذي بدأ خلق هذا الكون بهذا الصوت المقدس المبارك وعند اقتراب زمن هلاك هذا الكون سينام برهما نوما عميقا، فالإله شيفا– المدمر– يتنفس فتبدأ عملية تدمير هذا الكون أو هلاكه.

كما أن الأبانيشادات تعتقد أن رمز أوم يدل أو يشير إلى الإله في حالته بدون شكل ساجونا برهما Saguna Brahama ، كما أنه يشير إلى تلك القوة المقدسة– شاكتي– التي تحيط هذا الكون بمظاهره المختلفة ، وهي تتمثل في برهما الخالق (برهمان شاكتي) والمحافظ (وشنو شاكتي) وشيفا شاكتي أي القوة المدمرة.

أهمية 'أوم' (Aum)

إن صوت "أوم" يعني برهمان نفسه حسب نص خاندوجيا ابانيشاد حيث سأل الطالب أستاذه: ماهو مبدأ هذا الكون ومصدره ، فرد عليه الأستاذ قائلاً: " إنه رمز أو كلمة 'أوم'، بل إنها برهمان نفسه ، ذلك العظيم الذي خلق الكون وإليه سيعود الكون مرة أخرى، لا آخر له؛ فالذي أدرك هذه الحقيقة وعبد وتأمل كلمة 'أوم' سوف ينال ذلك العالم (أي عالم الآلهة) وهناك سينال مرامه(أي موكشا)[17] هنا مرة أخرى نحن أمام تضارب في التعريفات. فترى التعريفات لكلمة "أوم" أنه مصدر الكون ومبدأه، وإليه سيعود الكون بينما يؤكد هذا النص من خاندوجيا ابانيشاد أن الإله مبدأ الكون ومرجعه فـ "أوم" ليست كلمة مقدسة فحسب، بل هي الإله بنفسه، فالذي يرددها ينال ذلك الإله أي يجد خلاصه والأمر الذي يزيد من أهمية هذه الكلمة أنها كلمة تكتنف وتحيط الكون كله كحقيقة مطلقة– أي كبرهمان – وهو متعال عن الجهات الثلاثة الدنيوية ، ولذلك تبدأ طقوس القرابين بترديد براناوا(Paranava) [18]؛ أي بكلمة "أوم" المقدسة[19] .

إذا يجب على الهندوسي أن يعبد مركزاً على كلمة "أوم" وهي تسمى ادغيتا (Udghita) كذلك، لأنها جزء من ساما فيدا ، ويبدأ الهندوسي جميع أعماله الدينية والمناسبات الإجتماعية بها. وهنا نجد محاولة إيجاد علاقة بين كلمة أوم والفيدات حيث ورد في خاندوجيا ابانيشاد "أن جوهر جميع المخلوقات هي الأرض ، وجوهر الأرض الماء ، وجوهر الماء النباتات ، وجوهر النباتات الإنسان ، وجوهر الإنسان النطق ، وجوهر النطق الريج فيدا، وجوهر الريج فيدا ساما فيدا، وجوهر ساما فيدا ادغيتا أوم"[20] والتركيز هنا على ساما فيدا أكثر لأنه –ربما – يشتمل على بيان الأدعية ، والطقوس الخاصة بالمناسبات الدينية والإجتماعية المختلفة. فهي كلمة ظهرت في مرحلة تدوين الأبانيشادات ولكن لها أهمية في سامافيدا أيضاً. ونظراً لأهمية هذا الصوت المقدس فيجب ترديده عند تقديم القرابين ؛ فكل كاهن عندما يقدم قرابين سوما يجب عليه بدأ الطقوس بترديد هذه الكلمة المباركة، بل تعتمد صحة وقبول هذه القرابين على مدى صحة ترديد هذا الصوت حسب القوانيين الدينية ، وبها يستطيع الهندوسي نيل الحقيقة المطلقة.

ولذلك تميز الأبانيشادات بين الذي يردد هذه الكلمة وهو لا يعرف معناها وكنهها، بل ويجهل حقيقتها عند تقديم القرابين وتأدية الطقوس ، والذي يرددها وهو فاهم لحقيقتها ومعناها، ومدرك لقوانين ترديدها فهو يصل إلى درجة الأفضلية على الأول لعلمه بها، وينال ثوابها أكثر بناءًعلى فهمه وإخلاصه المترتب على هذا الفهم،[21] بل إن الذي يردده وهو فاهم معناه فإنه يصير متحداً مع الإله العظيم[22].

فاذا كان صوت 'أوم' يتمتع بهذه الأهمية الدينية والشرعية المستمدة من النصوص المقدسة، هناك جانب آخر يضفي عليه القداسة والأهمية أكثر، ألا وهو الجانب الباطني فترى الهندوسية بأن كلمة 'أوم' إذا كان لها وجود خارجي، فلها وجود داخل الإنسان. وهو دليل على الجانب الإلهي في الإنسان، حيث يستطيع استكشاف هذه الحقيقة في داخله أيضاً، فالعبادة المركزة المتأملة المتصفة بالسكوت تسمح له أن يسمع هذا الصوت المبارك في

أعماق نفسه حسب كاتها ابانيشادات حيث تحاور نيكيكتاس مع الموت، وسأله: ماذا يوجد وراء الصحيح والخطأ ، والسبب والمسبب ، والماضي والحاضر ، فرد عليه قائلاً:" لقد مجدت الفيدات تلك الكلمة المباركة، المقدسة الجليلة ، والمجاهدة تعلنها ، وتصلها القداسة، وهي كلمة تحتوي على المسافة الأبدية، والحياة الباقية ، والذي عرفها نال مرامه ، وتلك الكلمة هي الأساس المطلق فالذي فاز بها، قد تحلى بها وتزين بين النساك والزهاد، ألا وهي كلمة أوم"[23]. من الملاحظ أن كاتها ابانسشادات استخدمت لفظ 'كلمة' بدلا من 'صوت' لـ "أوم".

ولذلك فيجب على الهندوسي ترديد هذا الصوت متأملا معناه حتى يتم إيقاظ هذه الحقيقة الكامنة الباطنة في أعماق الإنسان، وهي التي تربطه بتلك الحقيقة المطلقة تسمى براماتما(Paramatma) يعني الإله المطلق وهو مبدأ هذا الكون ونوره، فتهزه الأشعة النورية التي تنور شعوره وروحه في آن معاً[24].

نظراً لأهمية كلمة "أوم" تعتقد الهندوسية أن الصوت أوم بذرة كل شيء في هذا الكون تماما مثل الثمرة التي تبدأ ببذرة حتى أن منتراجياتي[25] التي تعتبر من الكلمات المقدسة والجليلة فإنها تبدأ بـ "أوم".ولذلك تضرب لنا الأبانيشادات أمثلة عديدة لتوضيح أهمية أوم من الناحية الباطنية فترى أن أوم قوس، والروح أو النفس سهم ، والهدف (أو المقصود) هو برهمان، ولا يستطيع إدراكه إلا الإنسان ذي التفكير العميق ، فكما أن السهم يصير واحداً مع الهدف ، كذلك تتحد النفس الإنسانية مع برهمان.

وهذا الهدف الذي يناله الهندوسي عن طريق أوم عالم لايمكن وصفه باللغة الإنسانية ، فإنه مكان مجدته الفيدات وهو عالم الأبدية.[26]وقيل: إنه باب الجنة ، من أراد دخول الجنة عليه الاهتمام بصوت أوم[27].

فالهندوسي عندما يتعود على ترديد هذه الكلمة أو الصوت وهو على قيد الحياة، فإنه سينال هدفه المنشود عند مفارقة الحياة، وسيظل يردد هذا الصوت أوم في اللحظات الأخيرة من حياته[28] .

ومثال آخر إن رمز أوم يشبه الفلك التي تحمل الإنسان إلى فضاء القلب حتى ينظفه، وهي رحلة باطنية مباركة ، تتجه من الخارج إلى الداخل إلى أن يدرك الإنسان الحقيقة الكامنة في أعماق نفسه . وحسب المثال الآخر إن رمز أوم يشبه تلك العربة التي تحمل الإنسان إلى عالم الإله برهمان ، وهو العالم الأبدي وفيه ينال الإنسان خلاصه الأبدي[29].

إذا 'أوم' هو مقصود الإنسان من حياته الباطنية، وبها تصلح دنياه ومعاده في الهندوسية ، ولذلك نجد الكتب المقدسة الهندوسية تهتم ببيانها وأفضليتها. وقد ارتبطت ببعض الأساطير الدينية التي توضح أهميتها من الناحية الفلسفية كذلك.

كلمة أوم في ضوء الأساطير الهندوسية

ارتبطت عدة من الأساطير الدينية – التي وردت في الأدبيات الدينية المقدسة – توحي أهمية هذا الصوت والرمز، وتبرز أهميته فيحكي لنا خاندوجيا ابانيشاد أسطورة ملحمة الآلهة مع الشياطين (آسورات) فلجأ الآلهة إلى كلمة أوم معتقدين أنهم سيبيدون الشياطين بقوة هذا الصوت المقدس، وفي ذلك الوقت قضوا على الشياطين، ونالوا الأبدية. فلذلك يجب على الهندوسي الاهتمام بذكر هذا الصوت المبارك والكلمة المقدسة إذا أراد إبعاد الشيطان ، وقبول أدعيته وعباداته لدى الإله.[30] ثم ترى الأسطورة الثانية في الابانيشاد نفسه ، أن الآلهة عندما خافوا من الموت والفناء ، فدخلوا عالم الفيدات، وغطوا أنفسهم بقصائدها، ولذلك سميت القصائد خانداس (Khandas) ، ولكن أدركهم الموت ، فخرج الآلهة من الفيدات ودخلوا الصوت المقدس'أوم' (Aum) ، لأنه صوت لا يخضع للعدم والفناء، لا خوف ولاحزن هناك، فالذي يرددها يصير أبديا مثل الإله والآلهة الذين تحرروا

من خوف الفناء ونالوا الأبدية[31]. بينما ورد في أسطورة اخرى أن الإله خلق برهما كذكر على وردة اللوطس ، وبرهما خلق هذا الرمز أو الصوت المقدس فبحرفه الأول"أ" خلق الماء ، وبحرفه الثاني "و" خلق الكواكب النيرة في السماء ، وبحرفه الثالث "م" خلق الأرض ، والفضاء ، والسماوات ، ثم الهواء، والنار، والشمس، والفيدات الثلاثة[32] .

وهناك تفاسير عديدة توضح سبب اشتماله على ثلاثة أحرف فيرى مفسر ساما فيدا أن أوم رمز يشير إلى الآلهة الثلاثة؛ حرف "أ" برهما ، بينما حرف "و" يدل على وشنو ، و "م" يرمز إلى الإله شيفا، ثم فسر بأن هذه الأحرف الثلاثة تشير إلى خصائص نفسية إنسانية ثلاثة ؛ ف ألف يشير إلى(راجاز) أي خاصة النشاط ، بينما الواو يدل على صفة الروحانية ، والميم يشير إلى خاصية الظلام ، التي تتصف بها النفس الإنسانية من حين إلى حين آخر.[33]فالإنسان يستفيد من الناحية الباطنية استفادة كبيرة حيث يتخلص من جهله الذي يظن فيه أنه منتمٍ إلى عالم المادة وهذا ما تسميه الهندوسية مايا (Maya).

فلذلك يجب على الهندوسي الإهتمام بذكر هذا الصوت حسب القوانين الدينية أكثر من جميع أنواع العبادات ؛ لأن العبادات تقبل الفناء والعدم و أوم لا يقبل الفناء والعدم فينبغي التعبد والتأمل بكلمة أوم ؛لأنها برهما نفسه الذي لايقبل الفناء والعدم وإنما هو أبدي

وهذا أمر خطير فإذا كانت أعمال الإنسان تقبل الفناء والعدم ؛ فهذا يعني ضياع الإنسان وخسرانه في الحياة الأخروية ، ثم إذا كانت 'أوم' عبادة تحظى بهذه الأهمية فلماذا شرعت العبادات الأخرى؟!

ثم إن النصوص تفيد أن الهندوسي إذا بدأ عبادته بتلاوة هذا الصوت المقدس، وتقديم القرابين ، فإن رمز "أوم" يسد كل ما نقص من عبادته أو ذكره، أو الطقوس الخاصة بتقديم القرابي) . وهو صوت يحفظ من سوء القدر ومس الشيطان كذلك.

الآثار والفوائد التي تترتب على ترديد صوت أوم

إن علماء الهنادكة قد ذكروا آثاراً وفوائد تترتب على ترديد صوت أوم يستفيد بها الهندوسي من عدة نواحي أخرى غير الناحية الشرعية وهي كالآتي:

الفوائد الفيزلوجية

إن ترديد صوت أوم يؤدي إلى الانسجام الداخلي لدى الإنسان والخارجي، أما الداخلي يتمثل في عقله وشعوره وجسده ، والخارجي يظهر في انسجامه مع الكون. وبذلك يتمتع الإنسان بالسعادة والاطمئنان في داخله، وبالسرور في خارجه. ويعتقد الهنادكة أن ترديد صوت أوم يؤدي إلى تجدد خلايا جسده وعقله ، فيشعر الإنسان بالاكتمال، ويبتعد عن الاكتئاب في حياته. والإنسان عندما يكون سعيداً فيجعل الكون سعيداً، وتلك هي الهدية العظمى يقدمها الإنسان لهذا الكون.فالإنسان المطمئن السعيد يملأ الكون سعادة وإيجابية) .

الفوائد الروحية

إن العبادة والتأمل برمز "أوم" يجعل الهندوسي يشعر باتحاده مع هذا الكون، وبذلك يتحرر من جميع أنواع الخوف ، ويتولد لديه الشعور بالسعادة المتعالية فيبدأ بحياة تملأها السعادة، وبشعور مرتبط بالعالم المتعالي، فلا يكون عبداً لأهوائه الدنيئة ، وإنما يكون مرتبطاً بالحقيقة المتعالية المطلقة الموجودة في أعماق نفسه.

الفوائد النفسية

لقد تحدث علماء الهنادكة عن الآثار النفسية المترتبة على شخصية الإنسان عند ترديد رمز "أوم" فترديده بصوت خافض يؤدي إلى الشعور بالاسترخاء ، ويزيد من نشاطه العقلي ، وتتقوى ذاكرته ، وتزيد قوة التركيز لدى الإنسان بشكل ملحوظ كما أن ترديد هذا الصوت يوجهنا إلى الاهتمام بداخلنا – الذي نهمله عادة – حيث تتوفر فرصة الانسجام مع وجودنا الداخلي، وبترديده تحيطنا الأشعة النورية التي تملأ شعور الإنسان بالنور ،وتزيد من قوته فيميل إلى الحب والخير للكون كله.

إذا ترديد صوت أوم لا يفيد الإنسان من الناحية الشرعية فقط ، وإنما يفيده في الحياة الدنيوية أيضاً حيث يعيش مستريح البال، لا يقع فريسة الجهل ، بل يقضي حياته على بصيرة وبينة حسب الديانة الهندوسية ، ولذلك نجد أن جميع المنتراوات الهندوسية تبدأ بهذا الرمز المقدس ، بل صار رمز أوم رمزاً تعرف بها هذه الديانة.

نتائج البحث

إن هذه الدراسة لرمز أوم المقدس في الديانة الهندوسية تشير إلى عدة حقائق عن هذا الصوت المقدس وهي:

أ- وجود غموض حول ظهور هذاالصوت أو الكلمة أو الرمز ، ولقد ظهر في الأبانيشادات لأول مرة وهي مرحلة متأخرة -في تاريخ الديانة الهندوسية- وكان يرمز للإله عندما لم يكن تمثيل الإله ميسراً.

ب- هناك عدة آراء مختلفة حول معنى هذه الكلمة ، فمنها ما تقول أنها تنتمي الى عالم ماوراء المادة. ولا تنتمي الى اللغة الانسانية ، وهي مبدأ الكون وجميع المنتروات في الديانة الهندوسية.

ج- لقد ظهر أوم كصوت مقدس ، ثم تطور الأمر به الى أن صار رمزاً للإله ، ثم الإله نفسه ثم صارت الكلمة المكتوبةحين تدوين أدبيات الديانة الهندوسية في مرحلة متأخرة جداً .

د- وجود علاقة وثيقة بين أوم وعقيدة وحدة الوجود في الهندوسية ، ف أوم كل شيء هو إله ، وكل شيء هو أوم في هذا الكون.

هـ- وجود أساطير عديدة تشير إلى أهمية هذا الصوت، حتى أن الآلهة عند عجزهم عن مقاومة الشياطين لجؤوا إلى هذه القوة المقدسة وهي أوم فتغلبوا عليهم.

و- ليس لـ أوم وجود خارجي ، بل له وجود داخلي كإله ، وكأنه الجانب الإلهي الذي يجب إيقاظه في أعماق الإنسان.

ز- إن التركيز وعبادة وتأمل وترديد هذا الصوت يساعد الهندوسي على نيل هدفه المنشود أ لا وهو موكشا.

ح- إن عبادة وترديد صوت أوم من أفضل العبادات في الديانة الهندوسية ، بل إنها عبادة لا تقبل الفناء والعدم – لاتصاف أوم بالأبدية – في مقابل العبادات الأخرى.

ط- يستفيد الهندوسي فوائد عديدة عند الاهتمام بترديد هذا الصوت المقدس تعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة ففيه صلاح الهندوسي في الدارين.

الهوامش

1- Hinduism, J.P Saswani, Sterling publishers (P)Ltd, New Dehli , 2003, P.11
2- Picturing God, Jean Holm with Jhon bowker, Pinter publishers, London, New York, 1994, P.76
3- Ibid P.80

4- (Om, A B kieth, Encyclopaedia of religion & ethics, Ed James Hasting, vol ix,The scolor Press ilkley, 1980, P.490
5- A dictionary of Hinduism, Margaret & James Stutely, Dehli Routledge & Kegan Paul, 1977,P.213
6- Classical dictionary of Hinduism, Jhon dhowson,London, Routledge & Kegan Paul, 1961, P.224

7- إن المراد بكلمة منترا في الهندوسية تلك الكلمات المباركة المقدسة التي يتم قراءتها في مناسبات دينية إجتماعية مختلفة وقيل: هي أصوات مقدسة ولها تأثيرات تترتب على الذي يرتلها حسب يقينه بدينه ، فيستفيد الهندوسي بالقوة الروحانية والجسدية نتيجة لتلاوة هذه الكلمات أو الأصوات وهي كلمة مكونة من حرفين مان يعني القوة العقلية وترا يعني التنوير فالإنسان يتمتع بالتنوير العقلي بتلاوة هذه الأصوات. فانظر لمزيد من التفصيل:

Mantras, Sacred words of power, Jhon Blofeld, A mandala Book, unwin paper backs, 1977, Britan, P.69.

8- A dictionary of Hinduism, Margaret & James Stutely P.213
9- Encyclopaedic dictionary of Hinduism, Ramesh Chopra Isha Books, Dehli 2005, P.55
10- Dictionary of Hindu lore & legends, Annat Dallapicollathames & Hudson, UK,2002, P.146

11- سوامي ديانند سراسوتي مؤسس الحركة الإصلاحية ' آريه سماج ' ، ولد في 10 فبراير 1824م في تنكارا قريباً من كاتهياوار حجرات ، وتوفي في 30 اكتوبر 1883م ، قام بتأسيس هذه الحركة الإصلاحية من أجل إعادة صياغة الهندوسية ، فقد دعا إلى الأخوة العالمية ، والعودة إلى الفيدات بدلاً من شروحها ، وكان عالماً باللغة السنسكريتية ، ويتقن الفيدات ، شجع على التعليم بجميع مراحله للنساء والبنات ، فلقب بأبي الديانة الهندوسية الحديثة بسبب جهوده في سبيل إحياء هذه الديانة وانظر لمزيد من التفصيل:

The Arya Smaj, Lajpat Rai, Longmans, Green & Co, New York, 1915, P.65,

https://archive.org/stream/aryasmaj account 001 aJprich, Accessed on 13th January, 2014

12- The meaning of om Symbol, Dayanad Saraswati,P.I, www.AVGsatang.org Accessed on January 13,

13- ويدانتا كان في الأصل يستخدم في الفلسفة الهندوسية كمرادف لذلك الجزء من نصوص فيدا المعروفة أيضاً باسم الأوبانيشادات ، وكلمة ويدانتا تعني الغاية أو الهدف من نصوص الفيدات ثم بحلول القرن الثامن الميلادي ، أصبحت الكلمة تستخدام لوصف مجموعة من التقاليد الفلسفية الخاصة بمفهوم تحقيق الذات والتي يفهم المرء من خلالها الطبيعة المطلقة (البرهماية) ولمزيد من التفصيل انظر:

Vedanta for beginners,Sri sawami sivananda,Divine society publication, Uttar Pardesh,1996.P.27.

14- www. Dishq.org /downloads/vedabegin.Pdf accessed on January 04,2014

15- A dictionary of Hinduism, Margaret & James Stutely, P.213.

16- Worship, Jean Holm with Jhon Bowker, Pinter publishers, London, 1994, P.63.

17- khandogya Upanishad, tran F Max Muller (sacred Books of the East,vol.1,Aryan Books int'l new Dehli) 1993, P.16 & see also:
Religions of India, A Barth, ed Kegun Paul, Trench, trubner & co-ltd,1906,P.82.

18- كلمة أخرى أو اسم آخر براناوا (Paranava) لكلمة أوم والمراد بـ ناوا التعريف و برا الأفضل، إذا برانا وا تعني التعريف الأفضل للإله ،و هو أوم ويعتبر الصوت الأصلي للإله ، وانظر لمزيد من التفصيل:

The Hindu Prayer Book,P.6,
www.luhana.info/data/culturecorner/Hindu Prayer Book.Pdf
http://www.jstor.org/stable/40457471?seq=1&Search=yes&searchText=trichotomous&searchText=theme&list=hide&searchUri=%2Faction%2FdoBasicSearch%3FQuery%3Dthe%2Btrichotomous%2Btheme%26Search%3DSearch%26gw%3Djtx%26prq%3Dthe%2BOm%2Bscale%26hp%3D25%26acc%3Doff%26aori%3Doff%26wc%3Don%26fc%3Doff&prevSearch=&item=1&ttl=216&returnArticleService=showFullText&resultsServiceName=null
accessed on October 10,2013.

19- Khandogya Upanishad, tr Max Muller (Sacred Books of the East vol.1) PP 1-2.

20- A brief introduction to religion, Philosophy & ways of liberation, A L Herman, Westview press, America, 1991,P.83.
21- Hindus the religious beliefs & Practices, Julius liper Routledge, London, 1994, P.53.

وانظر كذلك

The Hindu Sound, William Corlett & Jhon Moore, Hamish Hamilton, London 1978,P.150
22- Hindu gods & goddesses, Suresh narain Mathur B.K Chatur Vedi, Diamond Pocket books Pvt, India, 2004,P.12.
23- Mundaka Upanishad, trans, F Max Muller, Part 15 (Sacred Books of East, Aryan International) P.36
24- (The Sacred laws of Aryas, tran George Buhler, Part I (Sacred Books of the East, Aryan books int'l new Dehli) P.14.
25- The Bhagavat gita, tran Kashinath trimbak Tealng (Sacred Books of the East, Aryan Books Int'l new Dehli) vol.8,P.833.
26- Khadogya Upanishad, tran P.10.
27- Ibid,P.11.
28- Encyclopaedia of religion & ethics, James Hasting, vol ix, P.419.
29- تعتقد الهندوسية أن المادة التي خلق منها هذا الكون تشتمل على صفات ثلاثة وهي صفة النشاط ستواجونا ، صفة الروحانية وصفة الظلام ، فالكثرة والتنوع الموجود في المخلوقات المختلقة في هذا الكون يرجع إلى وجود هذه الصفات بنسب متفاوتة في مخلوقات مختلفة فمثلاً الجمادات يغلب عليها جانب الظلام على الصفتين الباقيتين ،وكذلك الحيوانات يغلب عليها جانب الظلام على صفة النشاط ، بينما الرجل الباطني الروحاني يغلب عليه جانب صفة الروحانية على الظلام. وقس على هذا فانظر لمزيد من التفصيل:

Outlines of Indian philosophy , M hirriyana ltirriyana, Motilal Banarsidass Publishers , Dehli ,1993, P.161
30- The Sama veda, Sansikrat text with translation, Devi Chand, Munshi Ram Manoherlal publishers, new Dehli 2004, P.300.
31- Om Chanting & Meditation, Amit Ray,inner light publishers, Uttarkand, 2010,PP 42-44.
32- Yoga Sutra by Patanjali, Motilal Banarasidass publishers Dehli, 2005, P.102.
33- Hindu gods & goddesses, Suresh narain Mathur, P.12